الأمة العربية وغياب المرجعية

عبدالله زيد صلاح

كلما أمعنت النظر في واقع الأمة العربية كلما تمثل لي ابن خلدون وهو يمسك ريشته وألوانه ويرسم في لوحة فنية بديعة حدود الممكن لذهنية الإنسان العربي ومساراتها. وهكذا كلما يسود خطاب العنف وتحكم فلسفة الإلغاء أنساق المجتمع تستمتع الذاكرة أكثر بجماليات الرسم وعبقرية الفنان الذي اختزل تاريخ تلك الذهنية العبثية المتكئة على عرف القبيلة وجهلها وخرافاتها وعصبيتها.. ليس مهماً أن تُرى هذه النظرة في سياق التأزم ذاته، فالبنيتان الجزئية والكلية للمجتمع العربي تخضعان لمنهجية التعسف الفكري ولمبدأ الجدل العقيم، وقد اتسعت دائرة هذه المعطيات؛ لتمزق فاعليتها نسيج الأسرة الواحدة.. ناهيك عن البلدة الواحدة أو المجتمع الواحد.. هذا ما تفضي إليه حوارات العرب أو اللقاءات أو ما شابه ذلك، فما أن ينفض الجمع حتى تنفض معه الألفة والمودة والسكينة..

إن الأمر ليس سهلاً، وقراءته من أية زاوية تحدث التشويش والتناقض وتؤكد عمق الهوة بين مكونات الأمة، ولعل غياب المرجعية التي يستند إليها فكر الأمة هو خالق هذه الحالة المشوهة، بل هو الحافز الذي يغري الأعداء لبث الفُرقة وزرع الخلافات الدامية بين أبناء الأمة الواحدة، فحينما تغيب المرجعية يسود العبث وتتشظى الذات، وهذا هو الماثل فالذات العربية تاريخياً تبدو ذواتا متنافرة ومتناحرة، والشاخص في تاريخ الأمة منذ صدر الإسلام يلحظ تلك الحقيقة، فما أن توفي الرسول -صلى الله عليه وسلم - حتى انبعثت متصورات القبيلة من جديد، محاولةً إعادة الوضعية التي كانت عليها، وحدث بعد ذلك ما حدث من حروب الردة، ولا يقف الأمر عند ذلك البُعد، فحينما أطبق الحكم العضوض على أمور الأمة تشكلت خيوط الأزمة من جدلية العلاقة بين الحق والباطل، والكفر والإيمان وأنى لهما أن يجتمعا؟!!.. وعلى هذه الجدلية تشكل الخطاب الديني والسياسي والفكري للأمة.

إنه ليس من المنطق مجاوزة ذاكرة الأمة، أو الدعوة إلى طي صفحتها، فحيثيات الواقع المعاصر ومفاهيمه وأفكاره تأسست على عتبة تلك الذاكرة، وما نلحظه اليوم من سعة تفكيك وعمق مفارقة بين منطلقات الجماعات أو المذاهب أو الأحزاب ـ أو مكوناتها ـ المشكلة لبنية المجتمع إلا خير شاهد على جمود كل دائرة وانغلاقها على ذاتها، وعدم قبولها التصالح أو الحوار مع مقاصد أو مصادر ما دونها من اتجاهات، بل إن العكس هو السائد، فكل تيار حريص على إهدار فكر الآخر وتقليصه بكل ما أعطي من قوة، وفي مقدمة ذلك إضفاء المنظور الديني على كل صنيع يتناغم ومقصديتهم.

إن ما يتجلى من سياق واقعية الأمة بل وتاريخها يكشف عن حجم تخلف الذهنية العربية وعدم فاعليتها في إعادة بنية الأمة فكرياً وسياسياً واقتصادياً، ولعل هذا السياق هو ما يُطمئن أعداءها، فلا وزن لها في قاموسهم، ولم يعد يخشاها أحد، زد على ذلك أن هويتها الدينية والفكرية والقومية تتعرض للإهانة دوماً دون أن تحرك ساكناً، بل إن مصيرها أصبح ألعوبة في يد أقطاب العصر، وما يعتمل من صراع مذهبي وحزبي وعرقي في العراق ولبنان وفلسطين والسودان واليمن إلا شواهد على مجهولية مصير الأمة هذا من جانب، ومن جانب آخر دليل على سهولة انقياد العقل العربي وتحريكه لخدمة مصالح الآخر.. وما تحمله الأيام القادمة أدهى وأمر إن لم تُلغَ المسافات الشاسعة بين المنطلقات الفكرية للجماعات الحية في المجتمع، وكذلك تجاوز الآليات التقليدية الجامدة التي تتعامل معها الذهنية بيقين مطلق.. وإذا كانت هذه الأمة تمتلك من المقومات والعوامل التي تهيئ لها وحدانية الفكر والمصير ما لا تمتلكه أمة أخرى فإن من اليقين أن لها القدرة ـ إذا ما عزمت ـ على حسم وضعية المرجعية باعتبارها صمام أمان الأمة وأساس استقرارها ومصدر قوتها وعزتها، ولكن لن يتأتى ذلك ما لم ينزع الجميع لبوس التمذهب والتحزب والتقزم، ورفض مبدأ القداسة ومظاهره سواء تعلق الأمر بالشخوص أم بالفكر، وكذلك نبذ العنف والتطرف وثقافة الإلغاء، والعمل على نشر ثقافة التسامح والمحبة بين أبناء الأمة بمختلف توجهاتهم السياسية والفكرية والمذهبية، وهذه هي دعوة الدين الحنيف وما علينا إلا أن نمتثل لأوامره.

وأخيراً إذا ما أرادت الأمة أن تضمن حياتها ومستقبلها، فيجب على حكامها وعلمائها ومثقفيها أن يعزموا الأمر على البدء بتهذيب الخطاب الديني والسياسي والفكري ورفض ما يستند إليه من تراث ينتج الكراهية والعنف والإلغاء، فالخطاب هو أس التغيير ولذلك لابد أن يستقي معرفته من ينابيع الرحمة والمنطق وقبول الآخر ومصلحة الأجيال.

الأزمة وحسم حلها بين ثورة الشباب والحوار والرئيس

عبده المغلس

مدخل توضيحي لأعراض الأزمة:

1 منهج التفكير الخاطئ .

لا يزال تفكير الكثيرين في حل المشاكل يعتمد منهج الغوغائية والانفعال ورد الفعل ولا يعتمد على منهج التحليل والتشخيص الحقيقي لجذور المشكلة والبحث عن حلول تعتمد على معرفة تاريخ المشكلة وكيفية الفصل بينها وبين اعراضها، وكل مشاكلنا في بلادنا تعالج بهذه الطريقة الخاطئة مما جعلنا نعيش مشاكلنا ذاتها دون حلول على مختلف الصعد ومختلف الازمنة، وهذه هي الكارثة.

2 القيادة الانتهازية والعقل الجمعي.

هناك نوعان من القادة الذين ينكبون أوطانهم وشعوبهم، قادة يفجرون حماس الجماهير(العقل الجمعي) ولا يمتلكون القدرة على توجيهها والسيطرة عليها ويصبحون تابعين لها وللقادة الحقيقيين الذي يمتلكون القدرة على التوجيه والسيطرة، وقادة يتبنون شعارات الجماهير (العقل الجمعي) بل ويزايدون عليها ومصيرهم هو مصير النوع الاول. وهذان النوعان حقيقة ليسوا إلا انتهازيين يدمرون اوطانهم وشعوبهم.

3 هيمنة العقل الجمعي.

العقل الجمعي تسيّره العاطفة الجياشة والحماس وقوة الاندفاع غير المسؤول، وهو سهل الانقياد لأي اختراق قد يقوده ويوجهه لغير وجهته الحقيقية، وبالتالي سرقة أهدافه. إن أمتنا الاسلامية في مراحل تاريخها المختلفة حتى اليوم هي ضحية العقل الجمعي الذي غيّب البصر والبصيرة، انظروا الى قصة مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان - رضي الله عنه -، وكذلك الى مقتل ابن الصحابي الجليل عبدالله ابن خباب بن الأرت - رضي الله عنه وزوجه.

إن فهمنا لتلك الاحداث يفسر لنا اليوم ما يحدثه العقل الجمعي من مآسٍ وأحداث غير عقلانية .

4 غيبة المشروع وأدواته.

وتكتمل ابعاد المأساة الكارثية عنما يغيب المشروع القائم على رؤية مكتملة الاركان والأبعاد على مستوى الإنسان والوطن والإقليم والعالم، وتصل المأساة ذروتها بغياب أدوات المشروع المتمثلة بقيادات وزعامات حقيقية تقود الجماهير ولديها آلياتها التي تستطيع توجيه العقل الجمعي من خلالها ومنعه من الانحراف او السقوط في هاوية الانتكاس.

تلك المنهجية الخاطئة في معالجات مشكلات الواقع اليمني وأزماته هي التي اوصلتنا الى وضعنا الحالي. وما يؤكد ما ذهبت إليه، الاحداث التي رافقت ثوراتنا السابقة وقيام الوحدة واعتبار ذلك خيارا ومصيرا نهائيا ينهي كل المشكلات والأزمات التي واجهتنا.

وها نحن نكتشف أن كل ما قمنا به من ثورات وتضحيات ووحدة لم تحقق أياً من آمالنا ولم توجد حلولًا لأيّ من مشكلاتنا وأزماتنا، وها هو العقل الجمعي ينطلق مجددا بثورة جديدة كافرا بالوحدة والثورات السابقة، متجها هذه المرة نحو تمزيق نسيج روابطه الاجتماعية وبنفس المنهجية السابقة، وقيدته بل وأعمته أعراض المرض عن معالجة المرض الذي سبب كل هذه المعاناة وهاهو البعض في جنوب الوطن يهتف لجلاديه ويوجه بوصلته نحو اخوته في الشمال دون تمييز، وبمفردات لم يشهدها مجتمعنا ولا تقرها اخلاقنا وقيمنا، متناسيا انهم اخوة له في النسب (كل آباء القبائل اليمنية اخوة) والعقيدة (كلكم لآدم وآدم من تراب). وفي الشمال تتجه البوصلة لدى البعض وكأن الوحدة بمفهومها الذي مثل فيدا للمنظومة الحاكمة، جزء من العقيدة الايمانية، بدونها لا يصح الايمان. وبدلاً من أن يتجه العقل الجمعي بشطريه لجوهر المشكلة ومعالجة المرض الحقيقي، تم اختراقه لينتج صراعا بين فئات المجتمع وبعضها البعض وكأن التاريخ يعيد نفسه. لنتجه جميعا بعقول لا تفقه وعيون لا تبصر نحو التمزق والصراع.

جذور المشكلة:

إن (المشكلة) المرض الحقيقي الذي نعاني منه له جذور ثلاثة:

> ها نحن نكتشف أن كل ما قمنا به من ثورات وتضحيات ووحدة لم تحقق أياً من آمالنا ولم توجد حلولًا لأيّ من مشكلاتنا وأزماتنا

-1 جذر مذهبي :

وتمثل بعدم وجود مرجعية جامعة فعقيدتنا الاسلامية هيمنت عليها ثقافة التمذهب (تحويل المذهب الى دين بديلا لدين الاسلام)، والتي بدورها اخرجت المذهب من كونه اجتهادا بشريا - لحل معضلة ما، وفق فهم نصوص دين الاسلام، مرتبطا بظرفها الزماني والمكاني وعلم ومعرفة المجتهد في زمانها ومكانها - الى جعله دين الاسلام وإسباغ قدسية الاسلام عليه لدى اتباعه وأنصاره، وأي خلاف او اختلاف مع رؤية المذهب الاجتهادية يعتبر مسا بالإسلام ومعتقداته، مما أوجد صراعا حادا بين ابناء المذاهب المختلفة.

-2 جذر ثقافي :

والتمذهب أوجد ثقافته الخاصة المتمثلة بثقافة الإلغاء والإخضاع والهيمنة والتكفير وإبراز العصبية القبلية كأداة قمع وإخضاع لهذه الثقافة لدى بعض الاطراف المتصارعة.

-3 جذر اجتماعي :

ومن خلال هيمنة التمذهب وثقافته تحول المجتمع الى طبقات هرمية تخضع بعضها البعض الاخر وتهمشه عن طريق فرض ثقافة التمذهب بقوة العصبية القبلية او الميليشية. وتناسى مسلمو اليوم تلك الاخوّة الانسانية العظيمة التي جمعت بين صهيب الرومي وبلال الحبشي وسلمان الفارسي وابن عوف القرشي تحت اخوّة دين الاسلام .

ونتيجة لهذه العوامل تحول الصراع في اليمن الى حروب وتقاتل وتكفير وكراهية وأخذت الحروب القديمة الجديدة هذا المنحى الذي لم تشذ عنه كل حروب الوطن، وذلك تعبير عن ازمة جديدة قديمة فشلت ثورة الشباب في حسم حلها، فهل يحسم حلها مؤتمر الحوار والرئيس هادي.

ولن يحسم هذا الصراع دون فهم اعراض المرض وجذوره فهما يؤديان الى معالجة الاعراض والمرض في وصفة علاج مكتملة، وهذا يحتاج الى مشرط جراح ماهر وغرفة عمليات معقمة لا تلوث بها، فهل الرئيس هادي هو ذلك الجراح ومؤتمر الحوار هو غرفة العمليات تلك، نأمل ذلك.

لروحك عبدالعظيم العمري..

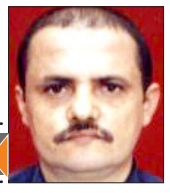

مهدي الهجر

للنبلاء المعافون الطيبون، المتصلة أرواحهم، الوجلة قلوبهم، المتحلقون دائما إن غابوا وإن حضروا على (اللهم إنك تعلم...).. رددوا معي في خلوتكم (اللهم اغفر لعبدالعظيم العمري وارحمه "100مرة")

ثم أوصيكم ونفسي بتقوى الله، وابتغاء مرضاته فحسب فما كان لله دام واتصل وما كان لغيره انقطع وانفصل، وايما أمرئ اختار ما لله على ما كان لهواه إلا رفعه الله ووفقه وأتم له.. سوّوا صفوفكم وصلوا منها ما انقطع، (فمن وصل صفًّا وصله الله ومن قطع صفًّا قطعه الله)

وكونوا لله في الصلاة والنسك والمحيا والممات، فما كانت الدنيا يوما لأحد، وما خرج منها الكيس الفطن إلا بمثلما خرج به صاحبكم.

رأيت الموت اليوم بغير العين التي كنت انظر اليه بها في الأمس، ويضطرب قلبي لذكره اليوم على غير ما كان بالأمس، ويقشعر جلدي كزرع في أوله تنفضه الرياح، كأن العين ليست العين، وكأن القلب غير القلب.. وكأني غيري... ماذا جرى؟ رغم أن الحواس هي الحواس، ومعين التذكرة والتوجيه هو..

عندما يصل الإنسان مبلغه من العمر تتوالى عليه من الله النذر ويصله من الله العذر، فأمامه الدروس والعبر، فيستوي في الرؤية والتفكير وفي قراءاته للأحداث والسنن وتخفت حدته ويتلاشى نزقه بعد أن تحتوشه الامراض وتكسر شوكته وقد غادره الى الآخرة بعض أقرانه الحبيب منهم ومن كان عنده في التصنيف بغيض والحزن عليهم في المحصلة واحد، يتفاوت فقط بحسبهم.

(أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ) (فاطر:37)

أوجعني الموت هذا العام وكسر قلبي في أحبة قريب منهم وصاحب وجار، منهم في أسبوع ومنهم في مسافة لم تبلغ العام.

كان الموت قد غادر قريتنا لفترة حتى نسيناه، ثم فجأة كعاصفة هبّ على مجاميع بعينها من ذات الجيل والعمر، كأنما هم زرع قد تمّ، وقد وافى حصاده، وجدتني أبكيهم كثمانيني تعبث به الريح لا يكاد يحمله جسده المتهالك..

يرحمك الله شيخ فاضل العاتي، ويسكنك الجنة ابن عمي وجاري عبدالله المقدار، والى مغفرة الله ابن الخالة صالح، والى عفوه وكرمه بن العم محمد صالح..

في اسبوع واحد لا يبلغك خبر الأول حتى يعقبه في الحال خبر الثاني، كعينة بسيطة من ذات الوشيجة والجلد، وفي الذاكرة رقم كبير لدفعات ومجاميع لجيل وجيل ومستوى عمري متقارب..

أنّت عليهم الروح، ودمعتهم العين، وأنكسر لرحيلهم القلب.

أتحسس رقبتي بعدهم وكأن جيلي يتهيأ لدوره هو الآخر كزرع على وشك أن يُقال له: تم، وقد وافى الحصاد..

يا حسرتاه على ما فرطت، وأعُض بنانيَ الآن لأستفيق على نعمةٍ من الله ما زالت في المتاح قلقي أن تغلق، لا أدري أعام هي أم شهر أوقد تكون يوما أو ساعة أو ربما دقيقة، الله بها أعلم همي أغتنمها ـــ وأدل عليها غيري ـــ أسجد لله فيها استغفره وأتوب إليه ثم أستدرك ما كان مني فأبذر بذرة، أو أضع لبنة، أو أغرس شجرة، أو أترك شيئا أو أمراً أو خبراً كي يصلني بعد موتي خيرا فلا أغدو مقطوع العمل..

ما أصعب لحظة أن يُوارى عليك التراب ويقال لك رُفعت الاقلام وجفَّت الصحف وانقطع عملك إلا من غرسٍ كان لك، أو خير يتفيأ الناس ظلاله..

> ما أصعب لحظة أن يُوارى عليك التراب ويقال لك رُفعت الاقلام وجفَّت الصحف وانقطع عملك إلا من غرسٍ كان لك، أوً خير يتفيأ الناس ظلاله

يا رجاءً القلب ولهفة الروح حينها في: رب ارجعون على دقيقة أو جزء منها لـ سبحان الله، أو استغفر الله، أو غيرها، طعمها خير من الدنيا وما فيها، فقط يجده المستسيغ إن قُدر له.

اللهم ارحم عبدك عبدالعظيم العمري، وكن له اليوم كما لم تكن له من قبل، وتوله برحمتك، وأنسك، وعفوك، ومغفرتك.

قلما مثلك عبدالعظيم، ولتهنك موتة الصالحين العاملين، وطب بخاتمة رُشد وفيها ابتلاء وتطهير، ودعواتٍ من عباد الله تتبعك، وغِـراسٌ صالحٌ ونمـاءٍ يجر عليك من بعدك كأجورهم وأجور من تبع حتى يأتي أمر الله، فنِعمًا هي صدقتك الجارية.

تعزية هادي..

أهم ما اشتهر به الرئيس هادي برقيات التعازي، من عند عاقل الحارة ومن في مستواه وصولا الى أعلى السلم.. فلا أدري السر وراء عدم تعزية آل وذوي العمري، أمصلحة وطنية، أم التؤدة والتريث ولعلها في الطريق؟..